مقالات

تصوُّر ميشال فوكو للمؤسسة وبداية تشظي السُلط.

د. رايس زواوي*

مقدمة.

بداية إدراك فعل التفلسف كان من اللحظة التي وعى فيها الإنسان الغربي تحوُّله من الفرد إلى الإنسان الكائن من خلال تمرُّده على المؤسسة الاجتماعية التي اختزلته خلال قرنين من الزمن، حيث تفكير اللحظة كان امتدادا لفهم المكان المفتوح بدءاً من أحداث ماي 1968 التي خلقت ارتجاجا في البنية المؤسساتية- الاجتماعية منها الجامعة والوعي المنفتحة على الآخر.

لقد دافعت النزعة - الإنسانية الجديدة- عن المبادئ الفلسفية التي ناضل من أجلها المثقف الغربي وبالأخص الفرنسي لانتزاع الحق في التغيير وتكريس المبادئ الفلسفية الكبرى بدءاً من 1968

المؤسسة وفن التصحيح.

بعد المنتصف الأول من القرن التاسع عشر وبالضبط 1847، ظهر مكسب في فضاء الإنسانيات هو التخفيف من حدّة إلحاق الموت ولو مؤقتا، لكن لهذا التراجع أهداف هي تغيير الآليات والخُطط لإلحاق الموت بالآخر، بالإنسان الشاذ كما تنظر إليه العدالة بطرق أخرى، لا نراها مغايرة، وإنّما تُفنن في إحداث عنفاً آخر يُمارسه كل من له الحق في السلطة على الفاعل، لكن مثل هذا السلوك المنتج والمُكوّن المعرفي يجعل من فعل العقاب فن التصحيح والتقويم(L'orthopédie) ولكن بالمثل يخلق كَبتاً إنساني.

لم تتوان السلطة أن تجعل من الإنسان الشاذ مجرد جسد فارغ الشعور والفكر، ويلقى نفس ما يلقاه الحيوان من تروّيض واحتقار لأنّه:"

بالنسبة للشعب الموجود هنا لاحظ أنّ سبب انتقام الملك كان دوماً حتى في أقصاه الأخذ بالنار" [1].وبالمقابل لازال موت الإنسان وارداً في تحليل الخطاب تحت مطيّة البحث عن الحقيقة من خلال المعالجة المكثفة للمريض بهدف الكشفعن الواقع العلاجي لحقيقة المريض وللمرض الذي يُعانيه الفرد جرّاء تقنيات الموت تحت غطاء إدماجه اجتماعيا، والتكفل به بموجب الطب العقلي،لقوله:" **عندما نأخذ العلاج في صيرورته ككله نرى أنّ لوري (Leuret) منذ البداية حاول القضاء على لذة المرض وهذا من محاولة بيع مريضه فمنذ البداية، كذلك استخدم هذا القميص، ومنع الطعام وكل هذه الموانع لتعليل ثنائية علاقة الجسم والفعل"** [2]، لأنّ تحصيل الحقيقة الذاتية من المريض كان لها جانبين هما:

- التعسف كنتاج عن الحرمان (Privation) من إعطاء الوجبات للطعام.
- التمييز هؤلاء الشواذ عن غيرهم من الأسوياء بلباس قصير(Camisole).

إذا عدنا إلى مظاهرات 1968، المنادية بحقوق الإنسان، وتبني خطاب معادي للسلطة وليس للنظام، هو كذلك ضحية الكلام، كيف؟

الفكر الثوري لـ **1968** نراه في قراءاتنا لـ:/ فوكو/ بأنّه وضْعٌ لإنسانية جديدة (Néo-humanisme)بقلب كل الخطابات اليسارية التي كانت إيجابية من جهة أنّها حثّت بفكرها السلطوي إلى إعادة التفكير في فكر الستينيات لنشوء فكر 68 شارك فيه نخبة من الفلاسفة والطلبة، هي فلسفة جديدة لرفض فكرة الحداثة، ولرفض النزعة الإنسانية (الإيديولوجيا.

لقد كانت الماركسية التي ولع بها جيل الخمسينيات والستينيات قد مثلت نفسها سلطة، بات سقوطها حتمياً مع أحداث 68، ونفسه الذي كان

قد حررّ جيله من سلطة الماركسية، قد هوى بالتفكير في سلطة غير معروفة تُشكلّ اللامفكر كلما اقتربنا من تفكيرها.

إنّ فكر 68 الذي تأسس من خلال فكرة - *ضد الإنسانية* - العصر آنذاك خلقت فضاءا فلسفيا يحتاج إلى التفكير حوله، فخلال 1936-1938 أعلن*ستالين*(Staline)عن التطهير الكبير(La grande purge) لتحطيم الإنسانية بتزايد المدّ البرجوازي المتصاعد من خلال الحركة النازية في ألمانيا بحيث يذكر كاستورياديس (Castoriadis) أنّ:" **ماي 68 هو بداية جديدة لفترة التاريخ الكوني**" [3]، حيث بداية التاريخ لحقوق الإنسان قد بدأت من هذه، تاريخ تجديدي مُؤسسٌ على الوعي وعلى قراءة اللامفكر،فهي بمثابة ثورة الذات على القواعد، إشارة إلى حكم البرجوازية اليسارية وهدم لفكرة الذات الكلاسيكية في قراءة لـ ليبوفتسكي (lipovetesky)[4] ، حيث استرداد للتراث كان لأجل تشريح الذات بقدوم الفردانية وليس التغني بفكرة الحنين إلى القديم(la Nostalgie) إطلاقاً.

لقد كشفت أحداث 68 عن تمييع الأنا وإفراغه من كل مركزية، فأضحى أنّ *الأنا* "je" هو *الآخر*: "**بحيث أنّ لا يهم الآن أن نتحدث بإسم " الأنا" " Je" أو بإنعدامية لأنّنا لم نعد كما كنا** "[5]، لهذا نرى بأنّ أعلام ماي 68 قد خلقوا من جديد تاريخ آخر، ليكون كتاب:- l'Anti- Oedipe -هو مزيج من الفرويدية والماركسية(freudo-marxisme)وأخيرا النيتشوية، لذا الفُصام (Schizophrénie) هو بمثابة معاناة من "داء العصر".

تشكُّل تقنية العزل.

يُرجع/فوكو/ البدايات الأولى للإقصاء بتزامن تقنية العزل مع سنة 1656، تزامن هذا بجعل المجنون يختفي من الفضاء الاجتماعي حدثَ هذانتيجة تهميش ديكارت(Descartes) للذات والنظر إليها كفكر. فكانت أحداث ماي 68 هي خلخلة لإيديولوجيا السلطة جراء الطرد(Expulsion)

الذي مارسته المؤسسة اجتماعيا، بأنّه لا يشغل سوى ظلام الزنزانة، فالقرن التاسع عشر هو حدثْ قدوم سياسي للبرجوازية من خلال مؤسسات الملجأ، السجن، الثكنة، المستشفى، الطب العقلي، بحيث م ثَّل العصر الكلاسيكي مرحلة التحوُّل بين الإقطاعية والرأسمالية، لهذا كان نقده للتاريخ لأنّه اهتم بكبريات القضايا والأحداث، ولم يوُلي اهتمامه لا للتفاصيل ولا لمحاولة امتلاكها إطلاقاً لذا، جاءت فترة التصحيح من خلال دراسة أركيولوجية للمؤسسة فبات مستقبل العلوم الإنسانية أنّه:" **قد يكون ممكناً إعادة رسم تاريخ العلوم الإنسانية كله، منذ القرن التاسع عشر انطلاقا من هذه النماذج الثلاثة** "[6]. غير أنّ تبنيه دراسات للحجز والاعتقال كمؤسسات سلطة هي بالنسبة لانتقاداتغوشيه وسوّان(M.Gauchet et Gl.Swain)، ما هي إلاّ فرضيات منها أنّ:

- الملجأ كمؤسسة لم يظهر إلاّ خلال 1800.
- الحجز الكبير الذي تحدث عنه الفيلسوف لم يكن خلال العصر الكلاسيكي (تاريخ الجنون كان بتاريخ 1656)[7]. غير أنّه استطاع بامتياز خلق الارتجاج في توهم العلوم الإنسانية وفي سلطتها والأهم في التاريخ.

نصوص دريدا(Derrida) خصوصاً -Les fins de l'homme- التي ألقاها سنة 68 كانت توضيحاً لآفاق تاريخية وسياسية انعكست على مجريات الأحداث الحياتية، ما بيّن حتماً أنّ الشعارات حول الإنسان والعلوم الإنسانية باتت وهماً حان الإقلاع عنها، لهذا كانت:" **ظهور أحداث الستينيات والسبعينيات ضرورة كان لابُد منها كحركة إرتجاجيةمناهضة**"[8].

جاء التفكير في- اللاإنسانية- لا لتجاوز مرحلة كانت فيها الفلسفة الميتافيزيقية حول مركزية الإنسان في المعرفة، بل لتصحيح نفس الأُطروحةوإعادة تفكيرها. لذا، ماي 68 قد بين فشل مشروع الحداثة

بكليته بما فيه الديمقراطية والأنوار، فظهر على منواله أعلام ما بعد الإنسانية بالتساؤل:

كيف أمكن للمعرفة أن تظهر بصفة غير مُنتظرة ضمن طرح ديمقراطي وإنساني؟

تُعد سنوات 1985 بمثابة كشف عن الماورائيات ضمن زقاق ضيقة يصعب منها تحليل الماحدث، ومع ذلك أتاحت هذه الفترة تفتيت المُقدَّس بفتح نقاش حول أهم الأحداث. لذا، كان ظهوره بفلسفته هو لتحليل الخطاب، فعندما تساءل/هيدجر/ عن- غير المُنتظر- من المعرفة داخل الديمقراطية، فقد طرح فينومينولوجيا الظاهرة وما يكمن خلفها من انعكاسات حتى يتحدد الوجود الحقيقي للظاهرة الإنسانية ..وهناتتشكل المقاربة الفوكوية مع/هيدجر/ في البحث في النقطة التي لا يتم التفكير فيها ما يُحدد بحق اللامنطوق..

تمثيل لفكر/هيدجر/ في فرنسا كان مع: جورج كونجليام(Georges Canguilhem) وميشال سيرس(Michel serres) ولاحقاً في وقت متأخر مع ريموند أرون(Raymond Aron)(1905- 1983)[9] ،حيث استطاعت أحداث ماي 68 أن تكون دافعاً للاعتراف بالتفكير في الماحدث [(10)] وبناء خطاب المايحدث على طريقة مخالفة للإرث الماركسي، وبالتالي بداية تفكير مُتميّز هو أُفول النزعة الإنسانية (كإيديولوجيا).

مَعْلمٌ آخر هو تساؤل/ألتوسير/ عن قوة الجهاز الإيديولوجي البرجوازي إلى حدّ أنّ الاعتراف به أضحى مُمكناً ولا يقبل المُساومة، إلى أن جاءت أحداث68 لتُرسّخ أنّ قوة البرجوازية قد أُستمدت من الماركسية، ليكشف/ألتوسير/عن الجانب المُتحرك للسلطة على طريقة تحليله للجهاز من خلال تعريته للدواليب التي تجدُ فيها السلطة البرجوازية مكاناً للتعتيم، للمرّة الثانية تكون الماركسية أداة للتسميع (Stéthoscope) وعليه، *هل 68*

هي بداية الاهتمام بالذات ضد البرجوازي الفاشي ؟ أم تمثيل للإنسانية الجديدة على الطريقة الفردانية ؟.

يشترك/ليفي ستروس/ و/فوكو/ في تحليل لعصر- الإنسانية الجديدة- لتعويضها للنزعة الإنسانية من أساسها، وهو مشروع ضخم، حدَّد معالم الحداثة وما بعد الحداثة لفترة ما بعد 68 في أوروبا برمّتها وفي فرنسا بالخصوص، فعهد إنبجاس الإنسان لم يكن ليدوم كثيراً، فهو من جهةٍ محدود وغير محدود:

- كونه محدود لأنّه تشكلّ من التجارب السابقة عليه.

- وغير محدود لأنّة اتسم باللاتناهي باعتبار أنّ الأشياء السابقة عليه لا معنى لها سواء كانت حقيقية أم وهمية، فوجوده الأنطولوجي كان عندما ردّ الاعتبار لهذه المضامين التي شكلّته من الخارج، فهو مُشكلٌ منها، ووجودها المُهيمن عليه كان، لأنّه تفكرّ فيها.

لهذا لا نشك بأنّ نشوء لعلوم الإنسان كان بموجب خلل في المجال المعرفي بنشوء لتناهيه، وبالتالي هذا التعاقب في فترات ظهور الإنسان وتناهيه خلال أقصى فتراته في القرن التاسع عشر كان بانحسار يقين الرياضيات وانفصالها عن سطوحه الثلاث (اللغة، الحياة والعمل) ما مكّن الإنسان من استعادة عرشه لوقت قصير لأنّ كل نضالته وثوراته لم تكن مُنظّمة ولم يستشعر قيمة الخطر ولم يستفد من الأخطاء، لهذا أُرْكِس، ومع ذلك علوم الإنسان منذ القرن التاسع عشر لم تكف من الاقتراب من منطقة اللاوعي (اللامفكر) وبالخصوص أحداث 68، وهذا بمعية المقولات الكبرى التي باتت تُنظّم حقل العلوم الإنسانية [11]، فما جعلها تتراجع هو اهتمامها المتزايد بما ليس لها وهو إدعائها بالجوهرية وإهمالها لممارسة تقدمها كلما سنحت لها الفرصة بابتكار لمناهج، كل هذا جعلها تهتم بفضح أوهامها باستمرار.

بداية القرن التاسع عشر هو بداية لعصر حداثة هذا المخلوق، كائن الأنساق المعرفية، هنا ظهرت ما وصفه الفيلسوف - بالهزة العميقة- أي القطيعة الإبستمولوجية الكبرى للقرن التاسع عشر..

عندما تساءل نيتشه(Nietzsche): من هو الإنسان؟ أو من هو المتكلم؟

أراد أن يُحدد بأنّ موته كان بموت الإله، ليكون الإنسان القوي أخلاقياً هو أساس المعرفة. لذا، ما نُسميه- ما بعد النزعة الإنسانية- أو الإنسانية الجديدة- مع/ليفي ستروس/ أنّ العلوم الإنسانية اهتمت بما هو ذاتي بدافع سلطة الأنا أو التمركز على الذات، أما / لاكان/ فيرى فيها بأنّها علوماً تبحث عما ينقص، أو أنّها تهتم بالحرمان مُعبراً بذلك عن الكلام كرغبة بحيث لقد ربط هذا الأخير علوم الإنسان بأهم سمة وهي مقولة اللغة.

لقد تحدث جاك لاكان(Jacques Lacan) كما يذكر كتاب : La Pensée 68 أنّ استقلالية الذات هو وهمٌ بالمركزية، لأنّ تمثيل هذه الأحداث كانت بمثابة " **إعادة تقييّم كرامة الإنسان** "[12]، في تقييّمه للتحليل النفسي الفرويدي بأنّه مُجرد نزعة إنسانية بتحويله للاشعور إلى لسانيات بالنظر إلى 68 كبداية لتاريخ مُتجدّد لأنّها أتاحت الوقوف على الخارج والداخل ما شكلّ فعلياً الثنية.

لا شك أنّ مشاهير 68 قد نظروا إلى هذه الأحداث مرّةً بالسلب ومرّةً أخرى بأنّها فُرصةً للدخول إلى كونية ثقافية كما فعل بورديو(Bourdieu) لبداية تقييّم وتقويم الإنسان، أما الجانب السلبي هو لـ/ دريدا/ الذي جعل كل الأعمال التي تمخضّت عن 68 عملاً دالاً على نهاية الفلسفة بتفكيك نهاية الإنسان بمركزيته في المعرفة، أما /فوكو/ لم يتوان أن يجعل منها شكلٌ من أشكال متاهات العقل الذي آمن به الفكر الغربي ليكون/ألتوسير/[13]ليس أوّل ولا آخر من اعتبر هذه الأحداث:" **بأنّها تواطؤ**

لقوى برجوازية جعلت من المثقفين المناهضين للسلطة وللقمع ولانتهاك حقوق الإنسان بأنّهم قد سقطوا ضحية الأوهام بالتغيير فكانوا أجساماً طيّعة داخل كثافة مُفبركة "[14]،ليكون مفهومالإيديولوجيامعه هو كل ما خالف لطبيعته الأصلية، فيوصف بأنّه إيديولوجي، لهذا نرى أنّنانحتاج إلى ما نُسميه- Méta-Idéologie- أي تكوين نظرية عدمية في الإيديولوجيا، ما يجعل من تحديد التقارب مع السياسة، الاقتصاد وارداً لأنّ كل هذه المجالاتتنضوي تحت مصطلح النزعة الإنسانية.لذا، كان مفهوم - الإنسانية الجديدة-هو لبيان أنّ فكرة التفوُق الفلسفي للإنسان صاركله وهمٌ، ما وجب إعادة قراءة الوعي والوعي الزائف وهذا طبعاً بتحديد شروط مُمكنة لمعرفة عالم الإنسان وتحولاته الفعلية. ما جعل من فوكو-ألتوسير(Foucau-Althussérienne) وجمعٌ من البنيويين يُحددون نقاط الاشتراك لتحليل وإدراك-ما بعد النزعة الإنسانية-.

يرتبط مصطلح الإيديولوجيا كمفهوم رهيب بالدولة وبأجهزتها، ففي كثير من نصوص/فوكو/ وأثناء تعرضه للعلوم الإنسانية أشار إلى اعتبار سلطة الدولة بمثابة جهاز تعسفي وقسري منها: أشكال الحكم، السجون، الإدارات، الشرطة، القضاء ليتحدث /ألتوسير/ أنّ لهذا الترتيب الأولي ترتيبٌ ثاني يتجلى في الأجهزة الإيديولوجية للدولة وهي: الدين، المجتمع، التربية، التواصل، الثقافة، النظام السياسي لتكون الدولة ذات منحيين هما: قمعي و إيديولوجي[15].

في كتاب لـ: ريكور(Ricœur)بالفرنسية -L'idéologie et L'utopie- أثار مصطلح- إعادة إنتاجه- في الماركسية إشارة إلى طابع القداسة الذي يُحافظ عليه مفهوم القمعوالإيديولوجيا كمنهج وطريقة لإنتاج التعسف على الأفراد، حيث الدولة ضرورة أولية لتغطية كل الانتهاكات بحق الأفراد لإعادة ممارسة وإنتاج:

أولا: الأفراد بحيث يكونون خاضعين للنظام.

ثانياً: إنتاج لنظام آخر يكون فيه الأفراد محتواة فيه، كما هو الشأن في المؤسسات التعليمية.

إنّ الشيء المُلفت للانتباه هو كيفية التعامل مع المفاهيم وطريقة توظيفها في إطار تموضُع خاص يأخذ بُعداً معرفياً، سياسياً، اقتصاديا وربما إيديولوجياً، فتجد /ألتوسير/ يتعامل مع معنى الجهاز(Appareil) فيالمُقابل يُؤسس/فوكو/ لمعنى المؤسسة(L'institution)فيحين يعني مع ريكور(Ricœur) أنّه:" **يُكوّن قرابة مفاهيمية مع البنيات وإعادة الإنتاج، و– هو يعني- عمل ميكانيكي** "[16]بقوة تأتي من الخارج وهو نفس الخارج الذي كوَّن العلوم الإنسانية واستبعدتها المؤسسة.

شَدَد/ألتوسير/ في تحليله لفكر/ماركس/على ما يُشكل أهمها:" **وهي الحقل والقطيعة، الأولى يُشكل منهج هام لتجنب إشكالية الإيديولوجيا من أن تقع في فخ التاريخ، أما الثانية تطرح بجدية فعالية النظر إلى المسائل الفلسفية** "[17]، وهنا نجد/فوكو/ بالخصوص يستدعي تحليل العلوم الإنسانية بالرجوع إلى أحداث الحروب، الإخفاقات، الأعراف، الهزات بأنّها قد أوجدت ضرورة التفكير في المجتمع كحتمية :" **ما يجعل من مختلف المستويات ومختلف اللحظات لتكوينات المجتمع** "[18]على محك تحليل المجتمع و تطوره.

عندما تحدث/دريدا/ عن نهاية الإنسان في كتابه: Les Marges Philosophiquesتعرض إلى مسألة تقوّيض كرامة الإنسان أو حتى الطعن في الذات بعد اختزالها إلى الأنا، تأتى هذا بعد تفكيك الميتافيزيقا ما أتاح إمكانية اعتبار"الإنسانيات" أوالنزعة الإنسانية بأنّها مجردوهمٌ عندما بات تعرضها إلى الارتجاج ما مكنّ من اختزال الذات من الهوية إلى مجرد موضوع إلى ذات في عالم غَلبَ عليه التمثيل[19].

نُفكر في نهاية العلوم الإنسانية بـ: –Antihumanisme- مع/ هيدجر/ هو لتفكير مرحلة أخرى من تاريخ تكملة المشروع من الثقافة الغربية، هو ربط الماضي (D'ores déjà) بالحاضر ثم المستقبل في صيغة تواصلية زمنية تَحددَ فيها الكائن بوجوده ما أمكن للميتافيزيقا المعاصرة بتنبؤها بنهاية النزعة الإنسانية عندما اعتبر الكائن مجرد جوهر(Essence) ظرفي تشكلّ ضمن هذه السلسلة الزمنية (Da-Sein).

عرضاً (Incidemment)،تُمثل المقاربات للفلسفة الفرنسية لمناهضتها للنزعة الإنسانية لـ: ماي 68 هو أنّ/ ماركس/ انتقد النزعة الإنسانية باعتبارها إيديولوجيا وراثية عندما تحدث عن الرأسمال، علاقات الإنتاج، علاقات القوى والأكثر خصوصاً للتاريخ، ما جعل الفلسفة الفرنسية لـ: 68 تأخذ تفكير/ماركس/ لنقد إقطاعية البرجوازية للسلطة،جعل/ فوكو/يتفطن للتاريخ عنده بأنّه عودةٌ إلى الميتافيزيقا وإلى النزعة الإنسانية لذا، كان توظيفه للتاريخ لنقد التاريخ نفسه ولنقد إيديولوجيا التفكير البرجوازي هي بداية تفكيك الذات الإنسانية.

تعترف الفلسفة الفرنسية لـ: 68 أنّها سقطت وهي تُناضل ضد البرجوازية الرأسمالية من خلال الدعوة إلى حقوق الإنسان عند /ماركس/في فخ هو الدعوة إلى ترسيخ العمل لإرث هو بمثابة إيديولوجيا وهو رهان صعب وإشكالي ستأخذه أحداث 68 بعين الاعتبار، في حين تعرض/ألتوسير/في تفسيره لنفس الأحداث بأنّ الثورة الفلسفية لـ:/ ماركس/ هو في معاداته الانفصالية للأنثروبولوجيا، ففي فلسفته يرى أنّ نضال الطبقات هو أساس المساواة الاجتماعية ومحرك التطور فتفكيره لم يرتكز على مركزية الإنسان، ولكن على البنية الاقتصادية والاجتماعية كحتمية أُعتبر فيها الإنسان منتوجمتى انتهى صار بلا فائدة لقوله:" **بأنّ نظرة ماركس بمثابةإنسانية جديدةجاءت كقطيعة أمام سذاجة**

الأنثربولوجيا"[20] ليكون التفكير حول الإنسان مجرد إيديولوجيا، هذا الأخير أشار إليه /فوكو/ بمصطلح التبعثر.

أعماله الكبرىك- الكلمات والأشياء- و-حفريات المعرفة- و-تاريخ الجنون- كلها كتابات بينّت فهم مرحلة شكلّت التفكير الغربي بدراسة عدمية للتاريخ بدءاً من ماي 68، هي بداية للتاريخ حددتها هذه المرحلة بالتقاطع مع/ نيتشه/،/هيدجر/،/فرويد/،/ماركس/و/لاكان/ في اشتراك هؤلاء في مفهوم Vulgate[21] أو (Antihumanisme Théorique).

تأويلات/ فوكو/ بخلاف/ ليفي ستروس/ أنّ الثاني يقترب من الحقيقة في تحديده لعالم نراه جُزئي لم نُدركه بعد، خصوصاً عندما تحدث أنثروبولوجياً عن القرابة بين الرجل والمرأة في علاقة تبادلية هي أقرب إلى المعاملات الاقتصادية، أما / فوكو/ حللّ إرادة الحقيقة على طريقة/ نيتشه/ بالاعتماد على تقنيات السلطة، بحيث أنّ حديثه عن السلطة قد حدد مُنعرج لا يبقى فيه للعلوم الإنسانية من مكان..

على نحو طارئ، تحليلاته اتسمت في دراستها للخطاب أركيولوجياً بـ: التوقف أو كما يُسميه اليونان (Epochè)[22] لكن هو توقف لدراسة تجزيئية مُفصلة للحدث، للخطاب وللإنسان.. هنا نجده عرضاً يتقارب مع/ هوسرل/ في إشارة هذا الأخير إلى حالة التوقف عند الفلسفة الديكارتية (Descartienne) حتى يُفسر نهاية لبداية فلسفية حول: " **التاريخ الكوني كشروط مُمكنّة لأن تكون الفلسفة صارمة كالعلوم الوضعية**"[23] .

لكن ماذا يقترح الفيلسوف لحل هذه العقد ولتحليل الخطاب وممارسته؟

لقد كان الفيلسوف، باستمرار على نقيضٍ بالسلطة لاستعمالها الإقصاء لرفض الآخر، مهما كان هذا الأخر فهو عدوٌّ للسلطة يجب إزاحته، فالدفاع عن المجتمع من التمزق يكون باسترجاع للفلسفة فعاليتها، حدث هذا لعدم عثورها على سياسة واضحة اتجاه السلطة سوى دروس

للسلطة، وفي السلطة، في الأكاديميات ومجالس العلم، ممّا جعلها تعيش فجوات ركبت السلطة عليها، حيث مفهوم:" **النزعة الإنسانية هي جملة الخطابات التي تمارس سلطتها العليا الإكراهية من خلال جعل الممارس عليه الفعل، مهيأ للطاعة منها، الروح، الوعي، الفرد، لذا، وجب على الفكر التقدمي اليقظ معاكسة هذه القوى الإكراهية، كآمرة وناهية وهذا لا يتأتى إلاّ بممارسة السلطة السياسية ثم خلق القطيعة مع النزعة الإنسانية بالثقافة.."**[24] ، بهذا الشكل فهي الإيديولوجيا التي صنعت من الإنسان كائناً يأتمر وينتهي بداخلها .

يُحدد/ فوكو/ معاينة النزعة الإنسانية من خلال الوقوف أكثر على الآداب والتي يصفها بأنّها ضربٌ من الإيديولوجيا التي بقيت تعمل داخل مجموعة من المفاهيم جعلت منها القوة التي لا تقهر، بالعكس أهانت الإنسان داخل حظيرته الفكرية والثقافية، بالاعتقاد بأنّها حاملة للأمل، أمل التمدُّد وتفتح الفكر، لتتمكن من خداعنا، إلاّ أنّ أحداث ماي(1968)[25] شكلّت المنعرج لزحزحة الفكر الوثوقي بكشف الستار التوهمي والإيديولوجي لمعرفة النزعة الإنسانية من خلال البحث في المؤسسات العلمية بوجود الفراغ بين المثقف اللاوعي والمثقف المخدر بقواعد اللعبة المؤسساتية، إذاً، نعايش تيار يجرفنا كليا في إيديولوجية إنسانية.

<u>الإنسان والتاريخانية</u>.

نعود لنرى بأنّ العلوم الإنسانية بالنسبة لـ:/ هابرماس/ لها دوافع إيديولوجية مشحونة بالمكر، وأنّها ليست سوى مجرد معارف تاريخية تأويلية لكونها عاجزة عن تطبيق المقاييس الرياضية لهربطها/ فوكو/ بالسطوح الثلاث فيرى فيها أنّها لم تقتحم بعد ميدان البحث العلمي وهو التجريبيات بل كل ما هنالك أنّ الإنسان أصبح مظهرا للتجريب. حدث هذا بإعادة قراءة الخطاب حول الإنسان وعلومه، ولاسيّما أكثر بتجاوز للسُبات الأنثروبولوجي بدءًا مع/كانط/ ثم/ نيتشه/، فكان الفراغ الناتج عن الاستحواذ لهوس الفكرة

الواحدة المتسلّطة (Monomanie) مبعثٌ على العودة، عودة الكائن المهزوم والمُثْقَل بالترسبات البرجوازية لقول/ فوكو/: **"رُبّما وَجَبَ الإطلاع على الجهد الأولي لهذا الاستئصال للأنثروبولوجيا، والذي منه بدون شك، تكريس للفكر المعاصر، لتجربة نيتشه، انطلاقا من النقد الفيلولوجي، ومن بعض الأشكال البيولوجية، فنيتشه قد عثر على نقطة أين يكون الإنسان والإله قد تحررا الواحد على الآخر، أين يكون موت الإله هو مرادف لاختفاء الأول، وأين الوعد بالإنسان الأعلى يعني أولا وقبل كل شيء موت الإنسان على وشك الحدوث [...] إذا كان اكتشاف الرجوع (Retour) [26] هو نهاية للفلسفة، نهاية للإنسان، هو عودة لبداية الفلسفة، في أيامنا هذه. لا نستطيع أن نُفكّر إلاّ في فراغ اختفاء الإنسان"**[27]، فالتقهقر وعودة الأصل يرتبط أكثر بالتاريخانية التي تحكم الإنسان من خلال سطوحه،فهو رهنُ الترسبات - من لغة وحياة وعمل- التي حكمته من الخارج. لذا، لم يتوان الفيلسوف بقراءته المتأنية لرسم مخططا أوليّا لتحديد أصل الإنسان من داخل سطوحه ذات الصلة بالازدواجيات.

منظور التاريخانية أو التاريخ، هو تحليل المجال وتحديده طبعًا بقراءته من خلال الداخل، وما يحتويه من آليات تعاملت مع خطاب حول الإنسان وكيف تحوّل هذا الأخير إلى كائن، فارتباط التاريخ كان بالتمثيل من شكل آخر هو إضعاف الإنسان بعزله عن تاريخه، لأنّ داخل هذا الأخير كان الرجوع الذي فيه إصابته بالانتقاص لكونه أفرغ من خصائصه، فكان منشؤه لا يتحدد بمكان ولا بتاريخ، فـ: **"انطلاقا من ميلاده لم يكن أبدًا سهل البلوغ لأنّه لم يكن له يومًا مكانًا [...] لهذا كان منفصل عن أصله(التاريخ) جعل منه معاصرًا لوجوده الخاص [...] كان منفصل عن كلّ أصل"** [28]، فتصنيف الإنسان يكون بعد تصنيف الأشياء وتحديد أصلها، وأنّه يقع ضمن حلقة مفتوحة غير مبيّنة المنشأ، فظهر نكوصه

بارتباطه بتراجع الأشياء ليأخذ مفهوم الأصل أو المنشأ دلالة تأصيلية تحمل معنى ميتافيزيقيا، وكأنه لا مرجع لأي شيء.

لقد حاول دوما أن يركب صورته على الانقسام الجاري في اللغة بأن يُكوّن ذاته في فجوات الكلمة فهو ليس سوى ندبةٌ وُسمت في لحظة من الزمن، حيث بدا تراجع الإنسان، أو عالم الأشياء أمام تاريخه وارداً لأنّ لا الزمان ولا الفكر كانا قادرين على الإبقاء على تناهيه، فأصله ليس سوى ثنيّة ضمن صنف الكائنات المتتابعة.

لقد سبق أن تبنى التاريخ هذا الكائن، لكن الأهم هو أنّه لم يتبنّ أصله، تبناه كظرف في التاريخ، اختفى باختفاء أصله فقط لأنّه لم يقرأ ولم يُؤسس لذاته اللاتاريخية، فنجد دوّي(Dewey) يقترح لتجاوز نظرة / فوكو/ حول لاشيئية الإنسان بأن نقف على مفاهيم مثل: الحقيقة، الواقعية، التطوّر، الحرية، الثقافة، الفن، الديمقراطية بدون ربطها بالعصر الكلاسيكي حتى نتجاوز كل مآل: **" لنفي الإنسان ولازدواجياته"** [29]، لكن برأينا معنى شيئية /فوكو / لقراءة/ دوّي/ نراها عدمية لتجديد تأهيلي للخطاب من خلال الإنسان وبالتالي لابد لقراءة الإنسان من ربط مفاهيمه كالحرية، الديمقراطية بالعصر التي وجدت فيه.

فالإنسان في الثنائية، قد تَحدَد بمفهوم الخداع الذي أصبحنا نغْترُبه جرّاء مفهوم الأمل " L'espoir " فنعثر لدى/ دوّي/ أنّ / فوكو / لم يُدرجْ مفهوم الأمل في مفكراته لأنّها خدعة من خدع النظام والخطاب، إذاً، الأمل خدّاع (Fallacieux) إلى حدّ أنّنا لازلنا نعيش داخل الغرين ونقتنع بسهولة خطاب الآخر، خطاب السلطة والنظام.فالنظام والسلطة وخطاباته هي الإنسان الأعلى عند/ نيتشه / بحسب قراءاتنا لهذا التنوّع في إنتاج الخطاب، لأنّهما استطاعا خلق التميز والعنصرية والتعصب على أساس الأصل والدم بدعوى التميّز والإنتاج، فكان الأمل مجرد أحبولة فلسفية.

هناك طرح آخر مُغاير، ربّما هو مصحّح للقراءات حول/ فوكو / و/نيتشه/ أنّ هاكينغ(Hacking)، أظهر فكرة جديدة تتعلّق بأنّهما لم يذكرا بأنّنا أي الإنسان والآخر يساوي لا شيء، وإنّما لا نُشكّل فقط الشيء الكثير، ثم نتحدث عن العلوم الإنسانية من خلال موضوعها اللامركز في المعرفة؛ **"هل العلوم الإنسانية هي فعلاً -علوم الإنسان؟ [...] فالإنسان الذي يؤخذ موضوعًا- للمعرفة لم يكن هنا موجودًا مسبقا لموضوعه، في انتظار لإدراك علمي"** [30]، فخارجانية الإنسان وانفصاله عن موضوع معرفته كان لعجزه عن الاستحواذ لصرح خطاب العلوم الإنسانية، علومٌ إنسانية بلا موضوع مُحدَّد، لأنّه تحدد معرفيا من قبل إنسان البرجوازية من خلال تاريخ الأفكار، استطاعت بناء نظام شمولي كله تخويف وتجويع وإقصاء واستبعاد، استبعاد مصطنع كان على حسابه لهذا، ظهوره كان خطأً استقر زمانيًا على قرنين من الزمن، لكنه عاد يُعايش خلالها التخويف وأساليب العنف المعنوي أكثر بآليات أخرى ساهم فيها هو نفسه لأنّه اقتنع بضرورة حتفه.

<u>خاتمة</u>:

مهما يكن من فعلٍ للفلسفة، فإنّ أحداث ماي 1968 تعدُّ بمثابة دفاع مستميت عن الإنسانية الجديدة التي أعادت للإنسان حقّه في الكرامة وفي التغيير وللالتزام السياسي بتصوُّر جديد للمؤسسة العلمية والفكرية والاجتماعية التي بنت أسسها على المبادئ الأولى للحداثة ولما بعد الحداثة بتقويض للسلطة السياسية التي خوَّلت لنفسها حق التعسُّف والتعدِّي بمحوٍ للإنسان واختزاله إلى فرد، باستعاضة لسلطة رآها فوكو مبثوثة في كل مكان تراعي حق الآخر أو حتى الغير غير المتميّز في نضاله ضد البرجوازية والإقطاعية والرأسمالية ، فالوقوف في وجه الرأسمالية يحتِّم امتلاك أدوات للمجابهة وهذا الفعل الفلسفي يحدِّد معنى الالتزام الفلسفي للمبادئ.

*أستاذ محاضر ، قسم العلوم الاجتماعية.جامعة الجيلالي ليابس.
سيدي بلعباس. Philo.develop@gmail.com

قائمة الإحالات والمصادر

1-Foucault (Michel), **Surveiller et punir**, Gallimard, Paris, 1975, p. 73.
2-Foucault (Michel) , **LePouvoir psychiatrique** : Cours au collège de France , 1973-1974 ,François Ewald et Alessandro Fontana , éd:Seuil / Gallimard , octobre 2003 , p. 161 .
3-Ferry (Luc), Renault (Alain), la pensée 68 : Essai sur l'anti – humanisme contemporain, Ed : Gallimard, Paris, 1988, p. 92.
4- CF. Ibid., p. 121.
5- Ibid., p.124.
- Cf. Deleuze (Gilles) et Guattari (Félix), Capitalisme et Schizophrénie, l'Anti –Œdipe, Ed: Minuit, Paris, p.7.
6- فوكو (ميشال)، **الكلمات و الأشياء** تر: مطاع صفدي و آخرون، د (ط ، س)، ص294.
7- بإنشاء المستشفى الكبير، وبحلول 1660 كان عدد الأشخاص ألفين، وارتفع إلى حدود 5000 شخص مباشرةً بعد الثورة، وفي سنة 1914 بلغ عددهم مائة ألف، ما يُبين أنّ تحليلاته فيها مُغالطة.
8- Ferry (Luc), Renault (Alain), op.cit., p.22.
- Cf. Derrida (Jacques), Marges de la philosophie, les éditions de minuit, Paris, juillet 1985.p.135.
9- L'opium des intellectuels, éd ; Hachette, France, Paris, 1955.
10- Ferry (Luc), Renault (Alain), Ibid., p.24.
11- فوكو(ميشال)، الكلمات و الأشياء، ص296.
12- Derrida (Jacques),op.cit., p.154.
- Cf. Ferry (Luc), Renault (Alain), Ibid., p.30.
13- من مواليد (1918- 1990) له :
- Pour Marx, éd ; Maspéro, 1965.
14- Ferry (Luc), Renault (Alain),Ibid., pp.53-54.
15- Cf. Ibid., p.184.
16- Ricœur (Paul), **L'idéologie et L'utopie**, Seuil, France, p.185.
17- Ibid., p.170.
18- Ibid., p.175.
19- Derrida (Jacques), **Marges de la philosophie,** op.cit., p.27.
20- Richard (Michel), **La Pensée Contemporaine ; les grands courants**, op.cit., p.187.

21- اخترنا أن يكون للمفهوم الفرنسي معنى لـ: التأويل لنفس الأحداث بقراءاتها على ضوء مُتجدد أو لـ:Doxa معنى لتحديد الخطاب، و الأكثر هي قراءة لاتينية للتوراة.

22- ليكون المفهوم عند هوسرل هو تراجع الذات حتى تستطيع أن تُواصل فهم العالم .

23- Housset (Emmanuel), Husserl et l'énigme du monde, éditions du seuil, Avril 2000, p.32.

24- Foucault (Michel), Dits et écrits : 1970- 1975, Daniel Defert , François Ewald et Jacques Lagrange , tome II, Nrf:Gallimard , Paris,1994, p. 226.

25- تعد دراسات - ميلاد العيادة- و – تاريخ الجنون في العصر الكلاسيكي- منبع التفكر لكونها لم تقرأ إلا مع السبعينيات أي بعد 1968 عندما انكفأ الساسة والمهتمين بالاهتمام بها: كقضايا الجنس، الصحة، الجنون، والمرض لتجاوز فكر الستينيات المؤسس على إعادة قراءة ماركس و ألتوسير.

26- استعمال فوكو للفظ (Retour) بالمعنى الكبير إلى حرف (R) يدلّ على قوّة، و هيمنة سلطة الخطاب – كبداية لتقهقر و عجز " الأنا " عن بقاءها وسط مضامينه الثلاث.

27- Foucault (Michel), **Les Mots et Les Choses**, Nrf, éditions Gallimard, 1966, p. 353.

28- Ibid., p. 343.

29- Rorty (Richard), **sciences sociale et espoir social**, trad : Nicole sels, **critique Michel Foucault : du monde entier**, Editions de minuit, n° 471 – 472, Paris, Août – septembre, 1986, p. 893.

30- Lecourt (Dominique), **Après Foucault, les sciences humaines sont-elle des sciences de l'homme** ? Puf, Paris, 1988, p. 11.